تقرير يستعرض الأحلام المحطمة للمهاجرين الفارين من إفريقيا للسعودية



وعد مهربو البشر "فنتاهون ديريبي" بالوصول إلى السعودية، حيث يمكن للشاب الإثيوبي أن يجني أموالاً أكثر مما كان يحلم به، ثم يعود إلى وطنه ليبدأ مشروعًا تجاريًا.

بدلاً من ذلك، بعد أن وصل إلى الساحل الصومالي، طالب المهربون بالمزيد من المال وألقوا بالشاب البالغ من العمر 19 عامًا عندما لم يستطع الدفع.

لم يكن لدى "فنتاهون" أي خيار سوى السير إلى الوراء في الطريق الذي جاء فيه – رحلة عدة مئات من الكيلومترات عبر الصحراء.

وصرح الشاب لوكالة "فرانس برس" في "هرجيسا"، وهي مركز عبور: "أخبرني الناس أنني سأحصل على وظيفة جيدة، وأن أغير حياتي، وقالوا لي إن الأمر سيكون سهلاً. لكن الأمر لم يكن هكذا على الإطلاق". على طول طريق التهريب حيث ينتهي المطاف بالعديد من المهاجرين عالقين.

ومع تكثيف محاولات عبور البحر الأبيض المتوسط، واندلاع أزمة المهاجرين على حدود الاتحاد الأوروبي، تتأرجح إحدى أكثر طرق التهريب ازدحامًا في العالم بهدوء بعيدًا عن الأضواء.

"فينتاهون" هو من بين آلاف المهاجرين الذين يحاولون مغادرة إفريقيا – لكن وجهته ليست أوروبا، بل إلى السعودية.

هذا ما يسمى بـ "الطريق الشرقي" المحفوف بالمخاطر والمميت في بعض الأحيان، حيث يعبر المهاجرون الصحراء الحارقة والبحار الهائجة ومناطق الحرب النشطة بحثًا عن فرصة اقتصادية.

وتأخذ الرحلة المهاجرين – معظمهم من الإثيوبيين، ولكن أيضًا بعض الصوماليين – من القرن الأفريقي عبر خليج عدن إلى اليمن الذي مزقته الحرب.

ومن هناك يجتازون مساحات شاسعة من الأراضي المعادية على أمل الوصول إلى السعودية ودول الخليج الأخرى، والعثور على عمل.

يُذكر أن عشرات الآلاف من المهاجرين عالقون في اليمن، وغير قادرين على دفع تكاليف رحلة العودة، أو محتجزين كرهائن من قبل المهربين أو تحتجزهم السلطات المحلية.

كما يتعرض البعض بنهايات مأساوية ومروعة على طول الطريق.

ففي مارس، أدى حريق شب في مركز احتجاز مكتظ بالعاصمة اليمنية إلى مقتل عشرات المهاجرين. في نفس الشهر، غرق 20 شخصًا عندما ألقى المهربون أشخاصًا في طريقهم إلى اليمن، خوفًا من أن زورقهم كان ممتلئًا.

وبعيدًا عن الأضواء، أحد أكثر طرق التهريب ازدحامًا في العالم يتأرجح بهدوء مع آلاف المهاجرين الذين يحاولون مغادرة إفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية.

لكن الكثيرين لا يغادرون إفريقيا على الإطلاق، وقد تعرضوا للخداع قبل فترة طويلة من الإبحار.

وقال فينتاهون، الذي غادر جوندار في شمال إثيوبيا عندما كان بالكاد قد أنهى دراسته الثانوية:

”أخبروني أن ركوب القارب سيكلف 500 دولار. لم يكن لدي حتى 100 دولار. لقد صدمت“.

ويوفر الطريق الشرقي مدخلين إلى اليمن: أحدهما عبر أوبوك في جيبوتي، ولكن في كثير من الأحيان من بوساسو في شمال الصومال.

وتقوم جيبوتي بدوريات على ساحلها وتتتبع المهاجرين لكن الحكم أضعف في الصومال، مما يجعل خيار بوساسو أكثر شعبية جزئياً.

لكنها الأطول والأكثر خطورة من الاثنين، حيث تمر عبر أجزاء معزولة وخالية من القانون وجافة من الصومال، وتصل درجات الحرارة في النهار إلى مستويات عالية للغاية.

في المسيرة التي استمرت شهراً بين بوساسو وهرجيسا، قال فينتاهون إنه مر بالعديد من المهاجرين في حالة يرثى لها. تعرض بعضهم للسرقة أو الإيذاء الجسدي، وكانوا جميعاً يعانون من نقص شديد في الطعام والماء.

وقال فرحان عمر، موظف في مركز دعم تابع للمنظمة الدولية للهجرة في هرجيسا، إن كثيرين على الطريق كانوا مراهقين غير مصحوبين بذويهم: ”بعضهم ليس لديه أحذية“، على حد قوله

يُشار إلى أن المئات من المهاجرين الذين تم استغلالهم عالقون في طي النسيان في هرجيسا، دون نقود للعودة إلى ديارهم في إثيوبيا أو المضي قدماً إلى بوساسو.

وقالت ”ووينشات إيشيتو“، وهي أم عازبة تبلغ من العمر 35 عاماً وأم لأربعة أطفال، أرادت الذهاب إلى المملكة العربية السعودية لتصبح مدبرة منزل، لكن نقودها نفدت في هرجيسا: ”لقد غادرت لأولادي“.

ويتلقى ما يسمى بالطريق الشرقي القليل من التمويل أو الاهتمام المخصص لأزمات المهاجرين الأخرى

”لم يكن لدي طريقة لإطعامهم أو إرسالهم إلى المدرسة. لم يكن لدي خيار آخر.“

وعادت الحركة على طول الطريق الشرقي للارتفاع مرة أخرى بعد أن تباطأت في عام 2020، عندما أغلقت الحدود بسبب جائحة فيروس كورونا.

وفي عامي 2018 و 2019، كان أكثر طرق الهجرة البحرية ازدحامًا في العالم. صعد أكثر من 138 ألف مهاجر على متن سفن متجهة إلى اليمن في عام 2019 مقارنة بـ 110 آلاف عبروا البحر الأبيض المتوسط خلال نفس الفترة.